الباب الثالث

مع الله

تمهيد

هذا الباب مخصصه لتحقيق أهداف إيمانية نقترب بها من الله ﷻ، من خلال بعض موارد إيقاظ الإيمان.

الفائدة الأولى من موارد آية نتدبرها، ونتناول موضوع **حتمية العودة** الذي يذكرنا بضرورة أن يكون اليوم الآخر حيًّا في وجداننا لا نغفل عنه أبدًا، وأن نبادر بالطاعات وفعل الخيرات قبل أن نقف بين يدي الله تعالى في يوم توفّى فيه كل نفس ما كسبت.

ومن موارد إيقاظ الإيمان التفكر في الكون، وهو كتاب الله المنظور، وتحت عنوان **ساعة نتفكرها** نجد موضوع **تصريف الرياح**، ونتأمل من خلاله عظمة الخالق ﷻ فيما للرياح من وظائف مختلفة في حياة الناس، ومن هذه الوظائف تلقيح النباتات، وتوزيع درجات الحرارة والرودة بين مناطق العالم، وكذلك أدوارها المختلفة في تكوين السحب ونزول الأمطار، وكيف تكون هذه الرياح نفسها -مما تحمله من رحمات- نقمة ودمار للحارحين عن أمر الله تعالى!.

ومن موارد إيقاظ الإيمان العبادات الخالصة، والذّكر والدعاء من هذه العبادات، وتحت عنوان **أذكار نقرؤها** نجد موضوع **ورد التوبة**، الذي تعرّضنا فيه للآيات التي تحث على التوبة، وقمنا بسردها لعلها تكون عونًا لنا في المسارعة بالتوبة والإنابة إلى الله تعالى.

ومن موارد إيقاظ الإيمان التفكر في نِعَم الله ﷻ عليها، وتعدادها وشكرها، وتحت عنوان **نعمة نحمدها** نجد موضوع **نعمة الأمن**، الذي يؤكد

على أنه لا سعادة للمرء في عياب الأمر، فهو أول مطلب للإنسان، وهو شعار الإيمان، وهو حائرة الداكرين لله تعالى. وهو كذلك يحرر القدرات ويطلق المواهب في كل نافع مفيد

١- آية نتدبرها:

حتميـــــة العـــــودة

٢- ساعة نتفكرها:

تـــــصريف الريـــــاح

٣- أذكار نقرؤها:

ورد التوبـــــــــــة

٤- نعمة نحمدها:

نعمـــــة الأمـــــن

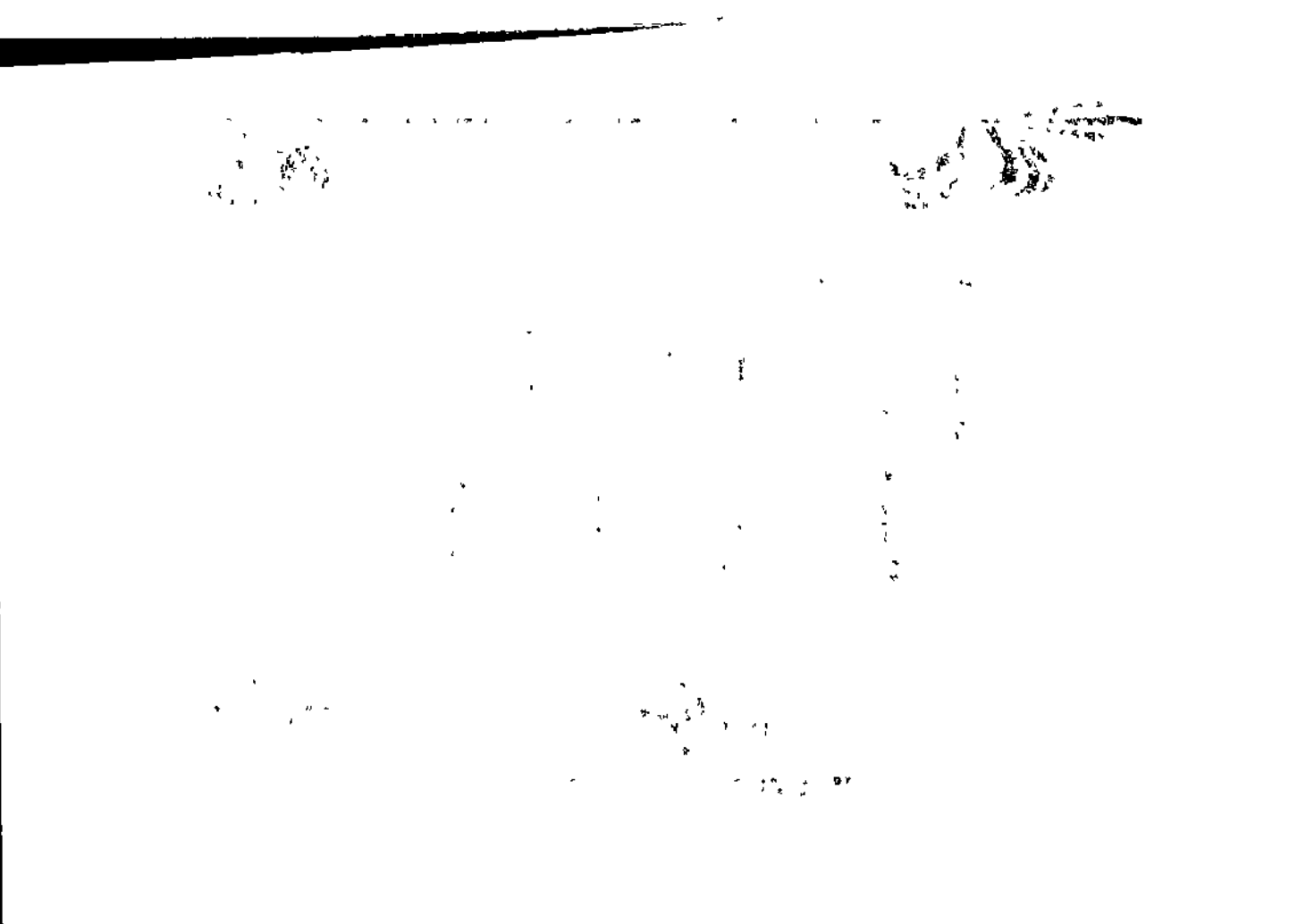

١- آية تتدبرها:

حتمية العودة

قال الله ﷻ ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[1].

هذه الآية الجليلة التي تلخص رسالة السماء في كلمات يسيرة المعاني سهلة الفهم هي أشبه بوصية مودع حريص عليها وعلى ما يحقق لها الفلاح في الدنيا والآخرة. وحقاً هي كذلك فقد قال المفسرون بأنها آخر ما نزل من القرآن الكريم. إنها -إذن- آخر كلمات للوحي تحمل لب أسباب النجاة والفوز، إنها التقوى

وصية ثمينة:

هذه الوصية بالتقوى هي ما جاء به كل الأنبياء وهي ما ختم الله به وحي السماء، وفي ذلك دليل قاطع على أنه لا بديل عنها لمن أراد الفوز برضا الله ﷻ وللتقوى معانٍ كثيرة غير أن أفضلها هو أنها كلمة جامعة لكل خصال الخير والمعروف، مانعة عن كل خلال الشر والمنكر. ولعل هذا من أسرار اختيار هذه الكلمة بالذات دون غيرها

يومٌ له ما بعده

والوصية لا تأتي إلا تحريصاً على فائدة عظيمة أو تحذيراً من مصيرة كبيرة وقد جاءت كلمة ﴿يَوْمًا﴾ نكرة -كما يقول العلماء- لتفيد التعظيم

١- الآية ٢٨١ من سورة البقرة

والتهويل، دلك أن يوم القيامة ليس يوماً عادياً من أيام الدنيا يمر ويقضي سريعاً مهما كان تعيساً مريراً، وإنما هو يوم بالغ الطول، يقول الله ﷻ ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[1]، وهو أيضًا شديد الهول إلى الدرجة التي يشيب لها الوليد وتفر الأم من أبنائها، بل حتى لا يحزن أكثر الناس حباً لبعضهم أن يتساءلوا عما يجري لهم وحولهم يقول الله تعالى ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ﴾[2] وتحيل هذا الهول كل هذه المدة لتدرك سعة رحمة الله بنا إذ نبها إلى ما نحن مقبلون عليه لنأخذ حذرنا ونبادر إلى الأعمال الصالحة التي تنجينا من أخطاره وأهواله

العقيدة تحمينا

وفي عصر أتقن فنون التجميل والزخرفة لتبدو الأشياء في أروع صورها فتأسر النفوس روعتها وتسبي العقول لذتها لتلفتنا عن دنيا وآخرتنا، يصبح للإيمان باليوم الآخر دور مهم في حماية المؤمن من سطوة الدنيا بكل ما تحتويه من شهوات ومتع رائفة؛ لأن هذه العقيدة تذكره بأنه راجع إلى الله وسيقف بين يديه مجرداً من الدنيا إلا من شيء واحد هو ما قدمه من أعمال صالحة، وكلما تمكنت هذه العقيدة من نفسه وفكره سار إلى ربه مترقياً في أسباب الكمال ومدركاً في وجدانه حقيقة الحياة الدنيا، مستهيناً بما يترك من متاعها الفاني

١- من الآية ٤ من سورة المعارج

٢- الآيتان ١١،١٠ من سورة المعارج

لا ظلم اليوم:

ولأن المؤمن يعلم أن الدنيا مزرعة الآخرة وأن الحصاد يبدأ مع قيام الساعة حيث يحتمي المؤمنون في ظل الرحمن في وقت تدنو فيه الشمس من رءوس الخلائق ويقاسي المجرمون العصاة من العرق الذي يلجمهم ويقيد حركتهم فإذا وقف الجميع في أرض المحشر للحساب حفت الملائكة المؤمنين لتبشرهم وأحاطت بالمجرمين تبكتهم، وهنا تُوفى كل نفس ما أسلفت من خير أو شر، الكل يأخذ جزاءه كاملاً غير منقوص في يوم الرجوع والعودة إلى الله مع زيادة إحسان وتكريم للطائعين يقول الله ﷻ ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾[1] فهذا وعد محمود يعمرهم الله فيه برضوانه، وأما المجرمون الذين لا يعملون لعودتهم إلى الله حساباً ولا يقدمون طاعة أو معروفاً فلهم الخزي والفضيحة أمام كل الخلائق ثم يساقون كالأنعام في مهانة إلى النار يقول الله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾[2] فهذا وعد نعوذ بالله تعالى منه.

احترِ لنفسك

بعد أن فهمنا ما ينتظرنا في هذا اليوم وما يتلوه من مشاهد ومواقف، فالواجب علينا أن نجعل ذلك اليوم الآخر في وجداننا ولا نغفل عنه أبداً، وأن نعد لكل سؤال في ذلك اليوم إجابة كما قيل: من أيقن أنه إلى الله راجع فليعلم أنه بين يدي الله موقوف، ومن أيقن أنه بين يدي الله موقوف

١- من الآية ٢٦ من سورة يونس

٢- الآية ١٠٦ من سورة هود

فليعلم أنه مسئول، ومن أيقن أنه مسئول فليعد لكل سؤال إجابة، وأن يبادر دائماً إلى طاعة الله وفعل الخيرات قبل أن يقف بين يدي الله في ذلك اليوم المشهود حتماً. يقول الله ﷻ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1] إنها لم تُعَدُّ إلا لمن عملوا بالوصية التي ذكرتها الآية وختم بها القرآن.

*****

١- الآية ١٣٣ من سورة آل عمران

٢- ساعة تفكرها

تصريف الرياح

هذه دعوة جديدة للتأمل في آية من آيات الله المبهرات التي تنطق بعظمة الخالق ولطفه ورحمته ووحدانيته آية من موسوعة الكون الهائلة، يطالعها ساكن الخيمة والكوخ مثلما يطالعها ساكن القصور، تبصرة وذكرى، وعظة وعبرة، تريا قدرة الله المطلقة ليأنس إليها أصحاب الإيمان، ويقرأها أصحاب العقول ويتيه العاقل الحيران، وتدمع المكابرين المعاندين وتدمعهم

وعلى الرغم من كثرة الفوائد المتعلقة بحركة الرياح إلا أن كثيرًا من الناس لا يلتفتون إلى هذه النعمة ولا يتدبرون ما فيها من دلائل على وجود الله مع أنها إذا سكنت تملّك الناس كرب وضيق شديد، وضاقت النفوس، وتنغص الصحيح، وتدهورت حالة المريض، وفسدت الثمار، وتعفنت البقول، وانتشرت الأوبئة، وتعطلت المصالح، فتأمل ما في ذلك من تدبير العليم الحكيم

والحق شمس والعيون بواطر لا يختفي إلاّ على العميان

الرياح لواقح:

إن للرياح دوراً مهمًّا في عملية نقل حبوب اللقاح في النباتات التي تفتقد أزهارها الرائحة الخذابة أو الرحيق أو الألوان الجاذبة للحشرات حيث تقوم الرياح بنشر اللقاح على مسافات واسعة.

فعلى سبيل المثال تستر الرياح لقاح نبات الصبور على مسافة قد تصل إلى ٨٠٠ كيلومتر قبل أن يلتقي اللقاح بالعاصر الأنثوية ويتم التلقيح[1]

وقد كشفت البحوث الحديثة للعلماء النقاب عن أسرار جديدة، وبينت التأثيرات المهمة للرياح في تكوين الغيوم وهطول الأمطار؛ مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾[2]

حيث ثبت أن تكثف بخار الماء على شكل قطرات مطر لا يحدث حتى ولو بلغت نسبة الرطوبة في الكتلة الهوائية ٤٠٠٪ بدون توفر ذرات ملحية أو ثلجية بالغة الصغر، وأن الرياح هي التي تنقل هذه الذرات حتى إذا التقت -بإذن الله- بكتلة هوائية رطبة بدأ التكاثف ثم يهطل المطر[3]

هذا الدور البارز للرياح أشارت إليه الآية الكريمة سالفة الذكر والعجيب أن بعض المفسرين قد فهموا من هذا اللفظة ﴿لَوَاقِحَ﴾ منذ أربعة عشر قرناً ما اكتشفته البحوث العلمية الحديثة وأكدته منذ فترة قريبة؛ فقد قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾، قال: لواقح للشجر والسحاب

وقالت طائفة من المفسرين: لواقح جمع لاقح، أي حاملة للسحاب والخير، وقد صوَّب الإمام الطبري كلا القولين؛ ذلك لأن الرياح تُلقح بمرورها على التراب والماء والشجر فيكون فيها اللقاح، وهي بذلك لاقحة بنفسها ملقحة لغيرها وإلقاحها السحاب والشجر هو عملها فيهما.

١- الرياح لواقح ، موقع مكون الإعجاز العلمي

٢- من الآية ٢٢ من سورة الحجر

٣- الإعجاز العلمي في القرآن، موقع الفيزياء لصحة العلوم

تجميع وتكثيف وقيادة

والرياح هي التي تقوم بتجميع السحب فهي تثيرها من البحار، وكذلك تقوم الرياح بإثارة السحب الرعدية حيث تنقل الهواء الدافئ شديد الرطوبة من الطبقة الملامسة لسطح الأرض إلى طبقات الجو العليا شديدة البرودة فيتكاثف ما به من بخار ماء وتتطور السحابة الرعدية ثم يهطل المطر بإذن الله، فالرياح الساخنة هي المثيرة للبحار، والرياح الباردة هي المكثفة له حتى يصير سحابًا ثم يسوق الله هذا السحاب بالتيارات الهوائية في طبقات الجو المختلفة فتذهب يمينًا وشمالاً إلى حيث يريد لها الله أن تذهب، وإلى حيث يسخرها ويسخر مثيراتها من الرياح والتيارات لتقود السحاب إلى حيث يريد لها الله أن تصل، إلى بلد ميت مقدر في علم الله أن تدب فيه الحياة بهذا السحاب، وقد صور القرآن هذا المشهد في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾[1]

وهذا المشهد الذي يتكرر أمام أبصار الناس وتعرضه الآيات في بساطة ويسر، فيه دليل دامغ على البعث والنشور، فالرياح لا تتكون فوق الصحاري مثلاً، لكن الرياح تقود إليها السحب والأمطار لتحيلها أرضًا خضراء تمتلئ بمعاني الخير والنماء والحياة[2].

١- الآية ٩ من سورة فاطر

٢- في ظلال القرآن الكريم، موقع الشبكة الدعوية.

بشير خير ورحمة:

ولا يقتصر دور الرياح حين تسوق الغيوم والمزن إلى المناطق الحافة التي تشتكو الفقر والجدب الشديدين، بل إنها تسوق السحاب إلى أهل تلك البلاد لتبشرهم بقرب قدوم المطر ومجيء الغيث فتبعث الآمال التي جمدت بعد طول الانتظار وتبعث نفوسًا أوشكت على اليأس. وقد أشار القرآن إلى هذه الوظيفة المعنوية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[1] وهذه الوظيفة ما زالت موجودة رغم تقدم العلوم والتقنيات، فبينما كان الناس يعرفون هذه الرياح قديمًا بصفات جَرَوها، فإن دراسة الرياح اليوم علم واسع يستعين علماؤه بأحدث الأجهزة والآلات وبالصور التي تلتقطها الأقمار الصناعية ليستدلوا بذلك على معرفة ملامح هذا المشير، بشير الخير والرحمة.

توزيع الحرارة والرطوبة:

ولاختلاف حركة الرياح واتجاهاتها أثر كبير في توزيع درجات الحرارة والرطوبة بين مناطق العالم، وهو ما يتسبب بدوره في استمرار هبوب الرياح. وهذا التوزيع المستمر لدرجات الحرارة يُتيح انتقال الهواء من جهة إلى أخرى مما يُسبب نوعاً من التوازن المناخي بين بقاع الأرض كما يُمكّن الرياح من اصطحاب الغيوم إلى المناطق الحافة والقاحلة. ولولاها لاحترق جانب كبير من الكرة الأرضية بسبب شدة الحر والجفاف[2].

١- من الآية ٥٧ من سورة الأعراف

٢- د. رعلول النجار، من أسرار القرآن، موقع الطب الإسلامي على الانترنت

ولهذه الرياح المتغيرة بين حارة وباردة آثار كبيرة جدًا في نشاط أنواع معينة من الحيوانات وتكاثرها، وكذلك له أثره في نمو أنواع معينة من المحاصيل التي ينتفع بها الإنسان ويستفيد منها.

تنقية وتلطيف:

ونظرًا للحركة الدائمة للرياح بين مناطق الأرض المختلفة كالسواحل والمسطحات المائية والمنخفضات والمرتفعات، فإن الرياح تقوم بتلطيف الجو وتنقيته من كل الملوثات الضارة بالبيئة من أتربة عالقة وأدخنة وحرائيم، فهي تنقلها إلى أماكن بعيدة في الصحارى والغابات والمحيطات مما يقلل من تركيز هذه الملوثات في المناطق السكنية والتي تسبب العديد من الأمراض والأوبئة المهلكة للإنسان -خاصة- وللكائنات الحية عامة، وبذلك فهي تجدد الهواء الفاسد وتخلصه من الروائح العفنة أو الكريهة أو مسببات الأمراض.

تُحرك السفن وتحملُ الطائرات

وللرياح فوائد كثيرة رغم ما توصل إليه الإنسان من تقدم، ففي القديم كانت المراكب الشراعية تعتمد في حركتها على اتجاه الرياح، وحتى عندما تقدم العلم وتحركت السفن بالأحجرة والمحركات الحديثة وصارت الطائرات تحلق في الجو بالمحركات المتطورة فإن رحلاتها ظلت مرتبطة بالرياح وما ينشأ عنها من مناطق ضغط مرتفع أو منخفض أو أعاصير أو سكون تام في حركتها، كما أن الطريقة التي تُصنع بها السفن والطائرات يُراعى فيها الشكل والتركيب بحيث يكونان متوافقين مع طبيعة الرياح، فالأشكال

الانسيابية لهما تقلل من مقاومة الرياح لحركتهما، وهو ما يُذكّرنا بقول الله عن ارتباط حركة الفلك بالرياح في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ * إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[1] ومن المعلوم أن كثيرًا من حركات الملاحة في العالم تتعطل حينما تسوء الظروف المناخية والرياح واحدة من أهم العناصر المناخية المؤثرة في ظروف البيئة من حولها.

تطهير البحار وتجديد المحيطات:

تقوم الرياح بدور مهم في تنقية المسطحات المائية الكبيرة مثل البحار والمحيطات وتطهيرها؛ ذلك أن حركة الرياح تسبب ارتفاع الأمواج وبالتالي نزول القادورات والأوساخ الموجودة على سطحه إلى أعماقه وأحيانًا طردها إلى الساحل، وبذلك فإن الرياح تجدد مياه البحار والمحيطات يوميًا بهذا التقليب المستمر لمياهه، وهو ما يحفظ الثروة السمكية والكائنات البحرية ويسمح الاستمتاع الدائم بها كمصدر مهم للغذاء، كما يبرز هذا الدور المهم للرياح في الحفاظ على الحياة البيولوجية على سطح كوكب الأرض، ولولا ذلك لتحولت جميع المحيطات والبحار مد أمد بعيد إلى مياه عفنة وسلة قمامة لا تحتمل.

ومن هذه الطهارة الدائمة لمياه البحر والمحيط نفهم الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ حيث قال: "**هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ**"[رواه الترمذي، من الحديث ٦٤]

١- الآيات ٣٢،٣٣ من سورة الشورى

عذاب ونقمة:

وهذه الرياح كما تكون لطيفة رقيقة تحمل الخير هي ذاتها تكون نقمة وعذابًا شديدًا على من يخالفون أوامر الله حيث يحولها الله إلى عواصف وقواصف وريح حاصب تهلك وتفسد الحرث والنسل ، وتهدم أصحم السايات وتقتلع الأشجار العظيمة، وتبيد كل شيء ولا يقف أمامها شيء أبدًا، والله إذا غضب على قوم عصفة أرسلها عليهم كي ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾[1]

ومن أجل ذلك كان النبي ﷺ إذا أحسَّ ريحًا دعا قائلاً: "اللَّهُمَّ لَقْحًا لا عَقِيمًا" [رواه الطبراني]. فإن الريح العقيم كما أخبر الله عنها. ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ[2] ﴾[3]

نعم فهذه الرياح التي تمر بنا ومن حولنا غير عابئين بها يمكن أن تتحول في لحظات إلى عذاب أليم كما حدث مع قوم عاد الذين تكبروا في الأرض وقالوا ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[4]، فأرسل الله عليهم ريحًا كانت تحمل الواحد منهم بين السماء والأرض ثم تتركه يسقط صريعًا وهي الريح التي أرسلها الله على الأحزاب في غزوة الخندق فقلعت قدورهم ونشرت الرعب في قلوبهم، فيالها من آية لمن يتأمل فيها.

١- من الآية ٢٥ من سورة الأحقاف

٢- الرميم الشيء البالي.

٣- من الآية ٤٢ من سورة الذاريات

٤- من الآية ١٥ من سورة فصلت

لفتة أخيرة:

بعد أن علمنا بعضاً من أدوار الرياح وآثارها الكبيرة في حياتنا وعلى كوكبنا، حدير بنا أن نلفت أنظار غيرنا إلى بديع خلق الله ولطفه وتدبيره، ولا نستهين بآياته المبثوثة في أرجاء الكون، بل نتأملها ونتفكر فيها فإنها تُرسِّخ الإيمان بحكمة الخلاق، ونعمل بجد ليكون بشرى خير للمؤمنين إلى طريق الله والاهتداء بآياته، ونستعيد بالله حين تثور الرياح كما كان يفعل النبي ﷺ ليعصمنا ويحمينا.

٣- أذكار يقرؤها

ورد التوبة

١- ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[١]

٢- ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيمًا﴾[٢]

٣- ﴿وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣]

٤- ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٤]

٥- ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾[٥].

٦- ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٦]

٧- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾[٧]

٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾[٨]

١- من الآية ٢٢٢ من سورة البقرة
٢- الآية ٢٧ من سورة النساء
٣- الآية ١٥٣ من سورة الأعراف
٤- من الآية ٣ من سورة التوبة
٥- الآية ٨٢ من سورة طه
٦- من الآية ٣١ من سورة النور
٧- الآية ٥٣ من سورة الزمر
٨- من الآية ٢٥ من سورة الشورى

٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

١٠- ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾[2]

*****

١- الآية ٨ من سورة التحريم

٢- الآيات ١٠-١٢ من سورة نوح.

٤ – نعمة نحمدها

نعمة الأمن

نعمة الأمن من أكبر النعم التي لا يعرفها إلا الخائف وتتبين هذه النعمة وتكتمل إذا اطلع الإنسان على أحوال الخائفين الذين لا يجدون الأمن تمتد مساكنهم، ويشردون من ديارهم، ولا يجدون ملجأ، ولا يأمنون على أنفسهم وأهليهم وأعراضهم وأموالهم، فالأمن في ذاته نعمة تعظم حين نرى أو نسمع أو نقرأ عن أحوال الذين لا يملكون الأمن ويعيشون الخوف كل ساعة، فبذلك ندرك قدر هذه النعمة

لا سعادة في غياب الأمن

لا سعادة لإنسان بلا سكينة نفس، ولا سكينة نفس بلا اطمئنان قلب، وليس الأمن بالمطلب الهين، فدواعث القلق والخوف والضيق ودواعي التردد والارتياب تصاحب الإنسان في كثير من فترات حياته، ولذلك فهو في سعي دائم للبحث عن السعادة التي يحقق بها السكينة والاطمئنان لنفسه ولمن يحبهم، ليحيوا جميعاً هانئين آمنين بعيداً عن القلق والفزع والاضطراب والخوف؛ لأنها أجواء تخلق الشقاء والآلام وتمنع من تحقيق أي تقدم أو عطاء أو كرامة، ومن ثم فقد امتن الله بهذه النعمة العظيمة على قريش حين قال ﷻ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ

حوف﴾[1] مشيراً بذلك إلى ما لهذه النعمة من أثر مهم في تحقيق سعادة الناس

أول المطالب

وإذا كان الأمن من أول أسباب سعادة النفس ولا تستغني عنه في مراحل حياتها المختلفة، فلا يكون غريباً أن نجد أن نبي الله إبراهيم عليه السلام يتوجه إلى الله بالدعاء أن ينعم على أهله وذريته بإسباغ هذه النعمة؛ فقال عليه السلام ﴿وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا البَلَدَ آمِناً واجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أن نَعْبُدَ الأصْنَامَ﴾[2] فبدأ بالأمن قبل كل شيء؛ لأن الأمن إذا تحقق حصل به الخير كله، فيه يتحقق للعباد مصالح دينهم ودنياهم، وينالون الخيرات، ويسعون في طلب الأرزاق في جد واجتهاد، ويجدون في تحقيق مراد الله منهم في إعمار الأرض وإصلاح الحياة بمنهج الله، أما حين يُفقدُ الأمن فإن كل خير يفقد، فلا يتم للعباد أمر ولا تتحقق مصلحة أو ابتكار أو رقي، وإنما تسيطر عليهم معاني الذلة والتقليد والخور

الأمن شعار الإيمان:

"والإسلام يقيم صرحه الشامخ على عقيدة أن الإيمان هو مصدر الأمان فلقد أوضح القرآن الكريم لنا في كثير من آياته الكريمة أهمية الإيمان في بث الشعور بالأمن والطمأنينة في كيان الإنسان؛ لأن الإيمان الصادق يمده دائماً بالأمل والرجاء في عون الله ورعايته وحمايته، فمنهما قال المسلم من

١- الآيتان ٣، ٤ من سورة قريش

٢- الآية ٣٥ من سورة إبراهيم

متكلات، ومهما واجهه من محن فإن كتاب الله وسنة نبيه بكلماتهما المشرقة بأنوار الهدى كفيلان بإزالة ما في نفسه من وساوس، وتخفيف ما في جسده من آلام وأوجاع، فيتبدل خوفه إلى أمن وسلام، وشقاؤه إلى سعادة وهناء، ويرشدانه إلى ما يحقق له الأمن النفسي والسعادة الروحية"[1] التي لا تقل أبداً عمن ملك الدنيا بأسرها، فعن سلمة بن عبيد الله بن مِحْصَنٍ الخَطْمِيِّ عن أبيه -وكانت له صحبة- قال قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا"[رواه الترمذي، من الحديث ٤١٣١]

"وإتماماً لهذه النعمة فقد شرع الإسلام من الشرائع وحدَّ من الحدود ما فيه حماية لأمنا من الفوضى والاضطراب، فوضع سبحانه أقصى العقوبات لكل من يروع الأمن ويخيف الناس الآمنين ويتعدى على أرواحهم بالسفك والقتل، وعلى ممتلكاتهم بالتخريب، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2][3]

كما اعتبر الإسلام أن تعريض المسلم لأي فزع جريمة، ودمه يستحق العقاب، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن رسول الله ﷺ قال: "لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرَوِّعَ مُسْلِمًا"[رواه أبو داود، من الحديث ٤٣٥١]

١- المصدر السابق

٢- الآية ٣٣ من سورة المائدة

٣- بيان صادر من المجلس الأعلى للشئون الإسلامية حول نعمة الأمن (شبكة الإنترنت)

هديتنا للمخالفين:

لقد كان من حكمة الإسلام أن جعل من حق المشركين عليا أن نمنحهم الأمان حين يطلبونه ويستجيرون بنا، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾[1]، وفي ذلك من الحكمة والأمن للمسلمين ما لا يخفى على متأمل، فمن ذلك أننا إذا أسأنا إليهم والمسلمون منتشرون في بقاع الأرض، فإن أهلينهم في تلك البلاد ربما أوقعوا إيذاء بالمسلمين المقيمين في بلادهم بغير ذنب، بل ربما اقترفناه نحن، فيكون في العمل بهذه الآية تخصيص وأمان يتبعه لنا الإسلام دوماً حتى حارب أراضينا في أوقات ضعفنا، كما يصح مصدر فخر واعتزاز لنا في أوقات عزنا وقوتنا أن نكون أمان الخائفين

خائرة المؤمنين:

وإذا كان الله تعالى يعد عباده الذين يطيعونه في الدنيا ويقيمون دينه وشرعه ويستوون رسالته بتمام الأمن، يقول الله تعالى ﴿وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾[2]. فهو كذلك سبحانه وتعالى يمنحه لمن يُديمون ذكره حيث يقول عز وجل ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[3] فذكر الله يحقق السكينة، فلا يخشى الذاكر سوى الله متيقناً أن بيده وحده سبحانه وتعالى مقاليد الأمور، فلا يهاب عندئذ المخلوقين.

١- من الآية ٦ من سورة التوبة

٢- من الآية ٥٥ من سورة النور

٣- الآية ٢٨ من سورة الرعد

وهذا الأمن يمتد ليلقاهم به الله عندما يكونون أحوج ما يكونون إليه، وتبشرهم به الملائكة باعتباره جائزة كبرى ونعمة عظمى في الآخرة يوم الفزع الأكبر، يوم يُسقِط الهولُ الأجنة من بطون أمهاتها، ويُشيب الرعبُ الوليد وإن كان في أحضان أبويه، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1]. فلمثل هذه النعمة تحقر لتكون من مستحقيها

الأمن مانح القدرات

ومن المعروف أن الإنسان الخائف تقل قدراته ويسوء تفكيره، ويصعب اتخاذه للقرارات المهمة في حياته، بل ربما اتخذ قراراً أو تصرف أثناء شدة خوفه بشكل يودي بحياته كليًا، بينما يمنحه الأمن القدرة على إنجاز الأعمال في نشاط وهمة، ويتحسن تفكيره في الأمور فيوازن بين المزايا والعيوب ويأخذ فرصته لنقد أخطائه وتصحيحها، وبالتالي يستمر تقدمه ويتميز أداؤه، وليس هذا على المستوى الشخصي فحسب، وإنما يعطيه القدرة أيضًا على مساعدة الآخرين ومعاونتهم في جو من التعاون والطمأنينة. وكذلك يكون حال المجتمع الذي يسوده الأمن والأمان حيث ستعمه روح الإبداع ويتنشر فيه الأمل المشرق في غد سعيد

الأمن قرين الرغد:

بعد أن أدركنا جميعاً أثر نعمة الأمن في سعادة الإنسان وأنها منحة من الله الكريم لنا، وهو سبحانه القادر على إسباغها علينا، واستمرارها دومًا،

١- الآية ٨٢ من سورة الأنعام

يسعى أن نعلم الآن أن هذه النعمة تستمر وتتمر نعماً أخرى حين نقوم بشكرها فنطيع ربنا، ونؤدي واجباته، ونتهي عن محرماته، ونُكثر من ذكره، ونأخذ في ذلك العظة ممن سُلبوا الأمن بجحود نعمة ربهم عليهم، يقول الله ﷻ ﴿وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾[1]

وهكذا يقترن الجوع مع الخوف مثلما يقترن الرعد مع الأمن، وهذا الأمن -على الحقيقة- لا يُحسه إلا أصحاب القلوب الموصولة بالله، المستشعرة لمعيته الدائمة، فتبقى لهم النعمة، ويدوم عليهم الفضل.

*****

١- الآية ١١٢ من سورة النحل